دور المكتبات العامة و المدرسية والأكاديمية في التنمية المستدامة

إعداد
أ.د. شعبان عبد العزيز خليفة

يقول ابن خلدون في مقدمته بأن التقدم هو أن نبدأ من حيث انتهى الآخرون والتنمية المستدامة هي التطوير الدائم نحو الأمام والأفضل والأحسن. ومنذ فترة وجيزة كان مصطلح التنمية المستدامة يعني التنمية الشاملة العامة للإنسان ككل ولكن في ظل الظروف الحالية توزعت التنمية المستدامة في اتجاهات شتى فأصبحت هناك التنمية الثقافية المستدامة والتنمية الاقتصادية المستدامة، والتنمية الاجتماعية المستدامة والتنمية العلمية والتنمية التربوية التعليمية المستدامة وهلم جرا..وعندما توجه التنمية المستدامة نحو الأفراد - وهذا هو الأصل في التنمية - فإنها من هذا المنطلق تكون موجهة نحو المجتمع على إطلاقه.

وبالعودة إلى قانون ابن خلدون القائل بأن "التقدم هو أن نبدأ من حيث انتهى الآخرون" فإن المكتبات بكل أنواعها هي أداة هذا التقدم وعدته ذلك أن الوظيفة الأساسية للمكتبة هي جمع وتنظيم وحفظ مصادر المعلومات وتيسير الافادة منها ومن ثم يمكننا أن نعرف أين وصل الآخرون وبالتالي نبني على ما وصلوا إليه. ونظراً لتعدد مهام المكتبات فقد تنوعت تلك المؤسسات الفذة ليؤدي كل نوع مهام محددة وأدواراً بعينها في إطار التنمية المستدامة فاختصت المكتبة العامة بالتنمية الثقافية وتعليم الكبار باعتبارها جامعة للشعب تهب العلم حراً لكل من يقصد إليها. واختصت المكتبة المدرسية بالتنمية التربوية والتعليمية وتفرغت المكتبة الجامعية للتنمية الأكاديمية والبحث العلمي.

١. المكتبة العامة ودورها في التنمية الثقافية

تضرب المكتبة العامة بجذورها في أعماق التنمية الثقافية وتعليم الكبار حيث أنها تكشف عموميتها من خصائصها الأربعة الفذة:

١. أنها تخدم جميع طبقات الشعب دونما تمييز بين طبقة وطبقة أو سن وسن أو لون ولون أو مستوى تعليمي وآخر ونوع وآخر وجنس وجنس.
٢. أنها تقتني في كل فروع المعرفة البشرية وبكل أشكال مصادر المعلومات وبكافة مستويات المعالجة حتى تشبع كل الاحتياجات والميول والاتجاهات.
٣. أنها تقدم خدماتها بالمجان وبدون مقابل.
٤. أنه لا اكراه ولا اجبار على إرتياد المكبة العامة.

ومن هذا المنطلق فالمكتبة العامة تسعى إلى محو الأميات الثلاث (القراءة، الكتابة، المعلوماتية). والمكتبة العامة هنا أقوى مظهر من مظاهر الديموقراطية. ومن هذا المنطلق أيضاً تقدم المكتبة العامة العديد من الخدمات والأنشطة الثقافية التي تؤدي في النهاية إلى التنمية الثقافية المستدامة.

٢. المكتبة المدرسية ودورها في التنمية التربوية والتعليمية المستدامة

لم يعد التعليم مجرد تلقين أو استظهار الكتاب المدرسي بل غدا تعلماً أو تعليماً ذاتياً يعتمد أساساً على المشروع والتكليف والبحث ولم تعد الدراسة في الفصل إلى ثلاثة أيام فقط ولمدة ثلاث ساعات يومياً في الأسبوع. ومن هنا أصبحت المكتبة/ مركز مصدار التعلم هي قلب العملية التربوية التعليمية ومن ثم التنمية التعليمية التربوية المستدامة.

٣. المكتبة الأكاديمية ودورها في التنمية العلمية والبحثية

الجامعة هي يقيناً أستاذ+طالب+مكتبة+معمل. وكانت الجامعة في العصور القديمة والوسطى تنشأ داخل المكتبة فيقال جامعة مكتبة أون وجامعة مكتبة الاسكندرية...

إن دور الجامعة الحديثة حتى المرحلة الجامعية الأولى هو إعداد باحثين ومخترعين ويقيناً فإن مرحلة الدراسات العليا إن هي إلا تتويجاً للدور البحثي الذي تقوم به الجامعة (يوجد في العالم نحو خمسة وعشرين ألف جامعة).

إن ظهور جامعات البحث العلمي على استحياء في القرن العشرين والزيادة الكبيرة في القرن الواحد والعشرين يؤكد دور الجامعة في التنمية الأكاديمية المستدامة. وتعتبر المكتبة الجامعية والمعمل هما أدوات البحث العلمي. إن العمل الاساسي لجامعات البحث العلمي هو تنمية الاختراعات والابتكارات.

****

إن المكتبات العامة والمكتبات المدرسية والمكتبات الجامعية إن هي إلا أدوات التنمية الثقافية والتربوية والاكاديمية المستدامة ولنتذكر دائماً أن الأمم العظيمة والمكتبات العظيمة تسيران دائماً جنباً إلى جنب "فلنع الدرس ونفهمه". هذه المكتبات (العامة والمدرسية والجامعية) إنما تسهم جميعاً في التنمية المستدامة عن طريق الخدمات المكتبية والمعلوماتية والتي تتجاوز عشر فئات من الخدمات والتي تختار المكتبات من بينها ما يصلح لها حسب نوع المكتبة وحجمها وأهدافها، ويمكن إجمال تلك الخدمات في الفئات الآتية:

- تيسير الاطلاع الداخلي
- الإحاطة الجارية
- الاعارة الخارجية والتوسع المكتبي
- خدمات العلاج بالقراءة
- الخدمات الببليوجرافية وخدمات التكشيف والاستخلاص
- خدمات حجز المصادر
- الخدمات المرجعية وخدمات المعلومات
- خدمات التصوير والاستنساخ
- البث الانتقائي للمعلومات
- خدمات الفئات الخاصة

****

إن ما يعوق مكتباتنا العامة عن القيام بدورها في التنمية الثقافية والفكرية تكمن في تعدد التبعيات الإدارية للمكتبات العامة في مصر والتي تربو على إحدى عشرة تبعية ففي داخل الوزارة الواحدة، وزارة الثقافة نصادف أربع تبعيات للمكتبات العامة فثمة مكتبات عامة تتبع دار الكتب المصرية وثمة مكتبات عامة تابعة للثقافة الجماهيرية وثمة مكتبات عامة تابعة لصندوق التنمية الثقافية وهناك مكتبة القاهرة الكبرى التابعة لقطاع الانتاج الفني.

ومن بين التبعيات الأخرى لمكتبات العامة في مصر نصادف مكتبات مؤسسة الرعاية المتكاملة ومكتبات مصر العامة مكتبات وزارة الشئون الاجتماعية (التضامن) والمكتبات العامة التابعة لوزارة التربية والتعليم ومكتبات المحليات ومكتبات القطاع الخاص والجمعيات الاهلية ومكتبات وزارة الشباب والرياضة (رعاية الشباب).

ومن مشكلات المكتبات العامة في مصر ضعف الميزانيات وضعف المجموعات وعدم تحديث المجموعات لفترات طويلة؛ والنتيجة كتب بدون قراء وقراء بدون كتب.

إننا في حاجة إلى مجلس أعلى للمكتبات العامة في مصر يوحد إدارتها ويوسع نطاقها وينسق فيما بينها، إننا في حاجة إلى إعادة تخطيط خريطة المكتبات العامة في مصر حتى تؤدي دورها في التنمية الثقافية والفكرية المستدامة في مصر.

المكتبات المدرسية ودورها في التنمية التربوية والتعليمية المستدامة

تنص لوائح المدارس في مصر على أن يكون في كل مدرسة مكتبة حددت وظائفها وأهدافها ودورها في العملية التعليمية ووضعتها في مكانة مرموقة داخل المدرسة ولكن الواقع الذي تعيشه المكتبة المدرسية المصرية يعوقها عن أن تكون أداة هامة في التنمية التربوية والتعليمية المستدامة، فهناك فزورة في

المكتبات المدرسية حيث أن في مصر نحو ستين ألف مدرسة، منها أربعون ألف مدرسة بها مكتبات والعدد الفعلي للمكتبات المدرسية هو ٢٥،٥٠٠ مكتبة فقط.

لقد تعثر بين دهاليز وزارة التربية والتعليم مشروع التربية المكتبية في المدرسة المصرية والذي كان يهدف حقاً وصدقاً إلى التنمية المستدامة للطالب والذي سعى إلى تزويد طالب المدرسة بالمهارات الدائمة للانتفاع السليم بالمكتبة ومقتنياتها وخدماتها.

لقد أسهمت هيئة المعونة الأمريكية أسهاماً مباشراً في تطوير المكتبات المدرسية بالمشروع العظيم الموسوم **" المشروع القومي للمكتبات"** والذي بدأ مع مايو ٢٠٠٥ وانتهى في سبتمبر ٢٠٠٩، والذي امد المكتبة المدرسية في مصر بنحو ٢٨ مليون مجلد، وتدريب متقدم لأمناء المكتبات وأثاث عصري مما ساعدها على السير في اتجاه التنمية التربوية والتعليمية المستدامة.

المكتبات الجامعية في مصر ودورها في التنمية البحثية والأكاديمية

من المؤسف حقيقة أن التعليم العالي في مصر اخذ في الانهيار التدريجي في ظل الأعداد الغفيرة من الطلاب والاعتماد الأساسي في العملية الأكاديمية على الكتاب المقرر وإهمال المكتبات الجامعية وحيث نلاحظ أنه لا يوجد في أية جامعة مصرية مكتبات تساند البحث العلمي يضاف إلى ذلك تعدد مستويات المكتبات الجامعية (مكتبة الجامعة -مكتبة الكلية -مكتبة القسم) وليس من بين مكتباتنا الجامعية ما يفي بأية معايير عالمية أو إقليمية أو حتى محلية.

ورغم وجود عشرين عاملاً على الأقل أدت إلى انهيار الجامعات المصرية إلا أن ثلاثة منها قد أسرعت بهذا الانهيار:

اشتغال الجامعة بالسياسية واشتغال الجامعة بالتجارة وللأسف ذلك العار الذي يجلل الجامعة المصري ألا وهي عمولات وفورات الميزانية. ورغم أن المكتبات الجامعية في أي بلد متقدم تسهم يقيناً في التنمية الأكاديمية والبحثية المستدامة إلا أن مكتباتنا الجامعية تقعد بالبحث العلمي ولا تسهم أبداً في تطويره.

****